ضرر التنويم

يقول بعضهم بضرره ويزعم انهُ وان شفى في الظاهر الامراض العصبية فهو ينهك العصب ويحدث في من هم تحت العلاج اضطرابات عقلية شديدة جدًّا . اما بارنيهم وليوبولت وغيرهما فيخالفون ذلك وينفون كل ضرر عنهُ . الاَّ ان الحكومات منعت استعمالهُ بعد ما استشارت الاكاديميات العلية كما جرى في بلجيكا وهذا يدل على عدم خلوه من الضرر وبارنيهم نفسهُ وهو من اكبر علماء هذا الفن ولهُ فيهِ تصانيف كثيرة وقد استعملهُ بدقة ومهارة وطوارة ذمة يقول انهُ فن دقيق يوجب على ممارسهِ ان يكون واسع المعرفة في علمي الطب والبيكولوجيا وشديد الحذر وكثير الخبرة ولا يجوز ان يستعملهُ غير الاطباء المتنورين وهذا اعتراف واضح بانهُ قد لا يخلو من الضرر كما لا يخفى

الدكتور
امين ابو خاطر

مغاوص سيلان

" الدرُّ من الصدَف " قول مأثور يحسبهُ العقل صورة خيالية وهو حقيقة فعليَّة . ولقد تفنَّن الناس في كل اعمالهم واوصلوها حدًّا من الاتقان والارتقاء يظهر قديمها لديهِ ظهور النواة امام النخلة الكبيرة يسعونها وحزوقها وثمرها بل ظهور زورق الخشب الذي يصنعهُ ولدك بكيتهِ ويلقيهِ في بركة الماء امام البوارج الضخام التي اصطدمت في حرب الروس واليابان . اما استخراج اللؤلؤ فلم يتفننوا فيهِ ولا حادوا عن الطريقة التي كانوا يجرون عليها قبل زمن اوسطوطاليس . يذهب غوَّاصوهم في الزوارق في فصل معلوم من السنة ويغوصون في البحر ويستخرجون الصدف منهُ ويلقونهُ على الشاطئ الى ان يتتن فيرثونهُ بايديهم ويستخرجون اللؤلؤ منهُ

قال ابن بطوطة في رحلتهِ حوالي سنة ٧٣٢ للهجرة ما نصهُ

"ومغاص الجوهر فيما بين سيراف والبحرين في خور راكد مثل الوادي العظيم فاذا كان شهر ابريل وشهر مايه تأتي اليهِ القوارب الكثيرة فيها الغوَّاصون وتجار فارس والبحرين والقطيف ويجعل الغواص على وجههِ مهما اراد ان يغوص شيئًا يكسوهُ من عظم البيل وهي السلحفاة ويصنع من هذا العظم ايضًا شكلاً شبه المقراض يشدهُ على أنفهِ ثم يربط حبلاً في وسطهِ

ويغوص ويتفاوتون في السير في الماء فمنهم من يسير الساعة والساعتين [1] فما دون ذلك فاذا وصل الى قعر البحر يجد الصدف هنالك فيما بين الاحجار الصغار ثابتاً في الرمل فيقتلعهُ بيده او يقطعهُ بحديدة عندهُ معدّة لذلك ويجعلها في خلالة جلد مربوطة بعنقهِ فاذا ضاق نفسهُ حرّك الحبل فيجيء به الرجل المسك للحبل على الساحل فيرفعهُ الى القارب فيؤخذ منهُ الخلالة ويفتح الصدف فيوجد في اجوافها قطع لم تقطع بحديدة فاذا باشرت الهواء جمدت [2] فصارت جواهر فيجمع جميعها من صغير وكبير فيأخذ السلطان خمسهُ والباقي يشتريهِ التجار الخاسرون بتلك القوارب واكثرهم يكون لهُ الدين على الغواصين فيأخذ الجوهر في دينهِ او ماوجب لهُ

وقال احد الكتاب الانكليز في مقالة وصف بها مغاوص سيلان نشرها حديثاً في مجلّة القرن التاسع عشر الانكليزيّة ما خلاصتهُ

ان زمن الغوص على اللؤلؤ اسابيع قليلة من السنة والربح منهُ كالربح من المقامرة ونتاجهُ عارٍ من كل فائدة ذاتية ولكن تغالي الغواني بهِ جعلهُ في المقام الاول بين الجواهر الثمينة

وما يعرف من امر هذا الصدف لا يزال قليلاً جدًّا وكذلك تولّد اللؤلؤ فيهِ لم يعرف معرفة تامّة حتى الآن مع اهتمام العلماء بهِ ومغاوصهُ في سيلان قديمة جدًّا وهي الى الشمال الشرقي من تلك الجزيرة وساحل البحر هناك واطئ منبسط تغطيهِ رمال حمراء بنيّة وكثبان كثيرة تنبت الاشواك والادغال وتتلاظم عليها الامواج فلا تجسر السفن على الدنو منها الاّ في الفترة بين الانواء السنويّة . وهذه الادغال منتشرة على الساحل مثات من الاميال وهي عرائس الافيال والفهود ومسارح الظبي والجآذر تجد فيها قرًى صغيرة حقيرة يعيش اهلها بصيد السمك واقتناص الوحوش وكان فيها في الزمن القديم مدن كبيرة عامرة لم يبقَ منها الآن الاّ اطلالها

الاّ ان ذلك القفر يصبح كل سنة آهلاً بالوف من الغواصين والتجار ويظل كذلك بضعة اسابيع ثم يمسي قفرًا بلقعًا . تأتيهِ السفن وفيها العمال فيدفنون الاوتاد ويقيمون الاكواخ ويغطونها باغصان الاشجار ويبنون مدينة بشوارعها وساحاتها ومجالسها ومخازنها . مدينة تسع اربعين الفًا من النفوس ولا تقضي ايام كثيرة حتى يؤجر كل كوخ من اكواخها وكل مخزن من مخازنها باجور فاحشة لا ترى في العواصم الكبيرة ويحتشد هناك الوف من الغواصين والتجار من كل بلدان المشرق ويتغطى البحر بالسفن الشراعية الصغيرة وتنتشر الناس في الطرق

(١) [المقتطف] الساعة والساعتين خطأ ولا بد من ان يكون الاصل الدقيقة والدقيقتين (٢) وهذا خطأ ايضاً ولعلهُ من الناسخ

يستقين الماء ويبيعن الطعام ويأخذ الناس يتعاطون بالالوف فيغتني بعضهم في ساعة وينتقر البعض الآخر ولا تمضي بضعة اسابيع حتى تقفر تلك المدينة ويغادرها سكانها وتضمحل كأنها نشأت بالسحر وزالت بالسحر فيعود النيل والفهد الى مطارحها وتصبُّ اشعة الشمس على ذلك الساحل كما انصبَّت عليهِ في العصور الغابرة

حينما يحين وقت الغوص يذهب الناس ويعينون الاماكن التي يجوز الغوص فيها لكي يكون استخراج اللؤلؤ منتظمًا فلا يستخرج كلهُ في سنة واحدة ولا من حيث لم يزل صغيرًا ويضعون اعلامًا في البحر يحددون بها الحدود التي يجوز الغوص داخلها حتى اذا جاء اليوم المعين أعلن ذلك وهو في الفترة بين النوئين حين يكون البحر رهوًا فتخرج السفن نصف الميل وفي كل سفينة منها نحو ستين رجلاً وتنشر شرعها وتغر الى حيث يوجد الصدف مسافة اثني عشر ميلاً ويربط الغواصون بهم اثقالاً يتحدرون بها الى قاع البحر بسرعة ومع كلٍّ منهم شغلاة يضع فيها ما يجمعهُ من الاصداف حتى اذا ضاق نفسهُ ولم يعد يستطيع القيام تحت الماء شدَّ بحبل فيعرف الذين في السفن وينشلونهُ فيصعد الى وجه الماء ويستنشق الهواء ثم يغوص ثانية وثالثةً ست ساعات متواليات ولا يستخدم شيئًا من الآلات سوى قطعة من عظم السلاحف يغطي بها انفهُ

وامهر الغواصين واقدرهم على البقاء تحت الماء لا يستطيع ان يبقى اكثر من دقيقة ونصف دقيقة والغالب ان الغوَّاص يبقى من نصف دقيقة الى دقيقة

وينتهي الغوص حينما ينتصف النهار وتعود السفن بالغوَّاصين وما جمعوهُ من الصدف وفي تتبارى في الوصول الى الشاطئ واخراج ما اصطادتهُ

ويقسم الصدف ثلاثة اثلاث متساوية فيعطي ثلث منها للغواصين اجرتهم فيبيعونهُ ويشتريه التجار حالاً ويمتحنون اصدافهُ ليروا ما فيها من اللؤلؤ ويستدلُّوا منهُ على حالة الثلثين الباقيين وهل اللؤلؤ كثير فيها او قليل وهل هو كبير او صغير

والغالب ان ما يصاد في يوم واحد يبلغ مليون صدفة وقد بلغ مرةً خمسة ملايين فاذا استدلَّ التجار من الثلث الذي اشتروهُ من الغواصين على حالة الثلثين الباقيين وقف الدلاَّل وجعل يعرض الصدف عليهم كومًا كومًا فيقول ان هذه الكومة من الجهة الفلانية وقد فتحنا كذا اصدافًا منها "عينة" فوجدنا فيها كذا وكذا من اللؤلؤ ويقف التجار حولهُ وهم من كل امم المشرق شيوخ وكهول وشبان بملابسهم المختلفة والبيع بالالف فيقول الدلال كم

تدفعون ثمن الالف من هذه الاصداف فيأخذ التجار يتزايدون الى ان يرسو المزاد على واحد منهم فيدفع الثمن نقداً ويأخذ اصدافهُ وقد يجد فيها فوائد تساوي كل واحدة منها الثمن الذي دفعهُ وقد لا يجد فيها كلها ما يساوي بعض الثمن فالعمل مقامرة ولكن التجار القدماء من قديم الزمان ويزيد اقبالهم عليها يوماً فيوماً حتى يتولاهم هوس يأخذ منهم كل مأخذ ولاسيما اذا فتح بعضهم صدفةً فوجد فيها درّة تساوي مئتي جنيه او اكثر والانسان مولع بحب الكسب الذي يأتيهِ على هذه الصورة

والغالب ان يوجد اللؤلؤ في كل صدفة من عشر صدفات . وعشر هذا اللؤلؤ جيد متوسط برّاق . وترى الاصداف اكواماً اكواماً والناس يفتحونها بسكين ويبحثون في لحمها باصابعهم لعلهم يجدون فيها شيئاً ووجوههم وملابسهم تتحرك مع اصابعهم وتتطق بما تشعر الاصابع بهِ فاذا وجد واحد درة كبيرة خبّأها حالاً لئلاَّ يعلم غيرهُ بها فيرتفع سعر الصدف ويعسر عليهِ المشتري . ويبذل جهدهُ في التفتيش عن لؤلؤة مثلها حتى يجدها او يشتريها لان ثمن الاثنتين المتماثلتين اكثر من مضاعف ثمن الواحدة منهما . ولذلك لا يستطيع احد ان يعلم ثمن اللؤلؤ الذي يوجد كل سنة لان التجار يخبئون الدرر الغوالي منهُ

وبعد هذا التفتيش الابتدائي عن الجواهر الكبيرة يترك الصدف اكواماً على الشاطئ تنصبُّ عليهِ حرارة الشمس وتحوم عليهِ سُحُب الذباب فيضن في لحمهِ فيفسد وينتن وتنتشر منهُ رائحة خبيثة تزهق النفوس ويعرض الانسان من شمها اذا لم يكن قد اعتادها وتذهب هذه الرائحة في الهواء فتشمها في البحر على خمسة اميال من البر وتنتشر في البر اميالاً كثيرة . وتتغطى تلك السواحل بالذباب فيزيد الطين بلة وتصير الاقامة فيها ضرباً من المحال الاَّ على عابدي المال الذين يضحون في سبيلهِ النفس والنفيس

وحينما يتم فساد اللحم الذي في الصدف يوضع في آنية كبيرة ويصب عليهِ الماء فتخرج الديدان منهُ وتطفو على وجه الماء تحاول النجاة من الغرق فيصبُّ الماء والديدان التي فيهِ عن الصدف ويصبُّ عليهِ ماء آخر ثم يخرج الصدف من تحت الماء اثنين اثنين وتضرب الواحدة بالاخرى حتى اذا كان فيها لؤلؤة عالقة وقعت منها ويطرح الصدف جانباً حتى لا يبقى في الاناء الاَّ اللحم المنتن وما فيهِ من اللؤلؤ فيأخذ العمال يدعكونهُ ويجنونهُ بايديهم ولا يباح لاحد منهم ان يخرج يدهُ من تحت الماء الاَّ باذن صاحب الصدف وكلما عثر باللؤلؤة انبأ عنها فيؤذن لهُ في اخراجها فيخرجها بيدهِ ويسلمها لصاحب الصدف ثم يعود الى مرث ذلك اللحم المنتن والتفتيش عن اللؤلؤ فيهِ . ومتى تم مرث اللحم كلهِ يفرغ في كيس ويوضع

في الشمس حتى يجف فينفش فيهِ عن اللؤلؤ الصغير الذي لم يعثر بهِ الرجل وهو يرقهُ ويعده جفٌّ نيٌّ رائحتهُ خبيثة لا تطاق

يُصدَّق ان تلك الدور النفيسة التي تتألق في نحور الحور تتولَّد من مرض يصيب حيوان الصدف — من خرَّاج واقد كالطاعون الذي يصيب الناس ثم تستخرج من الصدف وهو قرارة القذار ودمنة فساد

قال الكاتب الذي نقلنا عنهُ اكثر الشرح المتقدم انهُ اقتدى بغيرهِ فابتاع بعض الاصداف وتركها حتى انتنت ثم استخرج اللؤلؤ منها وكان لؤلؤها كثيرًا ولكن اكثرهُ صغير غير منتظم والكبير المنتظم فيهِ جميل جدًّا لكن زال جمالهُ من عينيهِ لانهُ صار يتذكر معهُ الحالة التي وجدهُ فيها

ويبتدئ فصل الغوص على الصدف في نحو العشرين من شهر فبراير ويدوم خمسة اسابيع او ستة مدة الفترة بين النوئين ومتى انتهى عاد الغواصون الى بيوتهم في خليج فارس او سواحل الهند والتجار الى بلدانهم المختلفة وهدمت منازل المدينة التي كانوا فيها ولم يبقَ من آثارهم الَّا اكوام الصدف على الشاطئ

ومغاوص سيلان قديمة جدًّا ذكر الآريون الذين اجتاحوا تلك البلاد قبل المسيح بخمس مئة سنة انهم ارسلوا منها هدايا فاخرة من اللؤلؤ . ومرَّت القرون ومغاوص سيلان مشهورة شرقًا وغربًا وقد ذكرها السيَّاح من كل الامم من اليونانيين والمصريين والعرب والبندقيين والجنويين . ولما امتلك البرتوغاليون سيلان اهتموا باستخراج اللؤلؤ منها وتلاهم الهولنديون ثم الانكليز

ويظهر من تاريخ هذه المغاوص انها تهمل في بعض السنين فلا يوجد فيها شيء يعتدُّ بهِ من صدف اللؤلؤ ثم تخصب بعد ذلك ويكثر صدفها فلما ملكها الهولنديون سنة ١٦٥٨ كانت ماحلة وكان السكان الذين يعتمدون على استخراج اللؤلؤ في حالة يرثى لها من الفقر . ثم اخصبت سنة ١٦٦٢ وسنة ١٦٦٩ وعادت فاجدبت حتى سنة ١٦٩١ واجدبت ثانية سنة ١٧٠٠ وتكرر خصبها وجدبها فمن سنة ١٦٦٦ الى سنة ١٩٠٤ لم يستخرج اللؤلؤ منها الَّا في ثمان وخمسين سنة فكانها اخصبت ٥٨ سنة واجدبت ١٨٠ سنة . ومن سنة ١٨٣٨ الى سنة ١٩٠٤ لم يوجد اللؤلؤ الَّا في عشرين سنة . وبلغ دخل حكومة سيلان من هذه المغاوص في كل هذه المدة ٦٥٧٠٠٠ جنيه اي عشرة آلاف جنيه في السنة انفقتها او انفقت اكثر منها على انشاء الاكواخ وارسال الموظفين والشرطة والخفراء . وقد ضمنت هذه المغاوص الآن بعشرين الف

جنيه في السنة فتخلصت من هذه النفقات واذ لم تصب المفاوس بالجدب على جاري العادة او اذ علم الضامنون طريقة يداوون الجدب بها فبقيت غلتها كما كانت سنة ١٩٠٥ ربحوا من ذلك ربحاً وافراً لانهُ خرج منها تلك السنة نحو ٧٨ مليوناً و٥٠٠ الف صدفة بيعت بنحو ١٧٥ الف جنيه. والمرجح ان الضامنين يعملون سبيلاً لتخليص المفاوس من الجدب لانهم بعثوا جماعة من العلماء يبحثوا فيها قبل ضمنوها فاذا افلحوا فلا بدَّ من رخص المؤونة على اثر ذلك الاَّ اذا زاد الفواني اضعافاً لهُ وتنافساً بهِ وتحكَّم الضامنون في ما يستخرجونهُ منهُ ويعرضونهُ للبيع

فوضى الكتّاب

ضمني واحد المستشرقين الاوربيين مجلسٌ دار فيهِ الحديث على النهضة الادبيَّة في سوريا ومصر فادهشني من الرجل سعة اطلاعهِ على تاريخ هذه النهضة وعلى دقائق شؤون الانقلاب الذي حدث في مدى النصف الاخير من القرن التاسع عشر واحببت ان اسرد امام اقوالهِ لما فيها من الفائدة

ولا بدَّ لي قبل الخوض في باب الموضوع ان انوه بفضل محدثي فهو من رجال العلم الذين دأبوا منذ حداثتهم على التوسع في البحث وعلى تحكيم العقل في المشاهدات لاستنتاج الحقائق على انهُ يعرف بضعةً من اللغات الشرقية معرفةً مستحسنة اما في العربية فهو راسخ القدم يكاد لا يمرّ بهِ ذكر كتاب الاَّ استحصلهُ وقرأهُ فرأيهُ اذًا ثقة يرجع اليهِ

قال محدثي اني رجل قرأت العربية في شبابي واقمت في سوريا ومصر ردحاً من الزمن توسمًا في معرفة اللغة وتمكناً من فهم اصطلاحات المتكلمين وقد مرَّ عليَّ حتى الآن نحو من اربعين سنة اقرأ معظم ما ينشر من الكتب والمجلات والجرائد تتبعاً لسير الافكار عندكم فكأني معرض حي لآثار النهضة

رأيت في بدء مطالعاتي ان بعض كتبة تلك الاونة يحاولون تقليد الكتبة الاقدمين فلا يحسنون ولكنهم يخبطون خبط عشواء لا سيما وان منهم من كان يتحرَّى تحسين كتابتهِ بالاستعارات والكنايات وامثالها من المحسنات اللفظية ليستروا ضعف المعاني وسخافة التركيب وغيرهم يحجمون الكلام فيجيء مجمهم ركيكاً مقفلاً. واكثر ما كان هذا بين الناشئين من الكتّاب في مصر. الاَّ ان هذا الكلام لا يدل على اني لم اجد بين كتّاب مصر يومئذٍ من